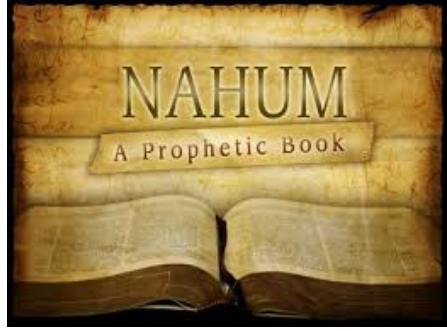


ناحوم والتوازن اللاهوتي د ق مكرم نجيب

سُمِّي السفر بعد النبي ناحوم. والاسم في العبرية يعنى "تعزية أو معزى" (انظر اشعيا ٥٧: ١٨) في السبعينية Naoum وفي الفولجاتا Nahum مثل الإنجليزية. والسفر يتحدث عن الدينونة الإلهية لأشور بسبب شرور نينوى عاصمتها. ويقع السفر في المكان السابع بعد نبوة



ميخا في الكتاب العبري ومعظم التراجم، لكنه في الترجمة السبعينية يأتي بعد سفر يونان.

التقسيم

- ١- دينونة الله العادلة (ص ١) : (وهذا الأصحاح في أصل لغته أدبياً مكتوب على هيئة القصائد التي تسمى "Acrostic". أو الحروف الأبجدية. وإذا سارت أوائل الأبيات حسب تسلسل حروف الأبجدية سميت القصيدة (Alphabetic).

٢ - سقوط نينوى (ص ٢ و ٣) : وهذا القسم يكون قصيدة طويلة

- المعركة (٢ : ١ - ٣ : ٣)
- الجريمة (٣ : ٤ - ٧)
- الخراب (٣ : ٨ - ١٣)
- الدينونة (٣ : ١٤ - ١٩)

الكتابة والتاريخ

يتحدث الأصحاح الأول عن المبادئ العامة للدينونة الإلهية والموجهة في هذا السفر إلى نينوى عاصمة مملكة آشور. ويختلف هذا الأصحاح في بنائه الأدبي - كما ذكرنا سابقاً - عن باقى السفر، ويذكر "أوتوايسفيلدت" أن هذا الأصحاح في اللغة العبرية هو قصيدة أبجدية، وهذا ما لا يظهر في الترجمات المختلفة للسفر. ولقد استخدم ناحوم هذا الأصحاح كمقدمة شعرية بهذا البناء لكي تكون مدخلاً إلى موضوعه الرئيسي في سفره وهو دينونة الله لنينوى، أو قد يكون - كما يذكر "ثورن" Thoburn ... إضافة من كاتب متأخر.

أما الأصحاح الثانى والثالث فهما يكونان قصيدة طويلة. ويقول البعض إن هذه القصيدة تحتوى على (١ : ١١ و ١٤) وفي هذا النوع من الشعر إذا جمعت أوائل حروف أبياته أو آياته كونت شيئاً ذا معنى. هذا الشيء قد يكون كلمة، أو عبارة مأخوذ بها نسبة إلى التكوين الأدبي المختلف المشار إليه بين الأصحاح الأول وبين الأصحاحين الآخرين. وعلى كل فهذه القصيدة تعتبر من الزاوية الأدبية من أقوى الأوصاف التي وردت في العهد القديم لمعركة. وهى فى مستوى أغنية دبورة فى الأصحاح الخامس من سفر القضاة، ومرثية داود على شاول ويوناثان فى الأصحاح الأول من سفر صموئيل الثانى.

وأسلوب هذا السفر يتمتع بلهجة قوية، ونبرات صارمة، تجرى عباراته جريئاً رتيباً أشبه بالخيال والمركبات التي يصفها. وبالرغم من التشدد في القسوة إلا أننا لا نحرم من رؤية جود الله وخيره خلف كل هذا مع شعبه، وطول أناته مع المتكلمين عليه والمؤمنين به.

أما من ناحية زمن كتابة هذا السفر فيختلف كثيرون من العلماء فيما بينهم أمثال Sellin, Lods, Humbert وغيرهم. ولكن الرأي الذي يلتف حوله الأغلبية هو أنه يمكن تحديد زمن السفر في الفترة بين الاستيلاء على "نوأمون أي طيبة" (٣ : ٨) مع (ارميا ٤٦ : ٢٥) عاصمة مصر في ذلك الزمان عام ٦٦٤ ق.م إلى سقوط نينوى عام ٦١٢ ق.م. وذلك لأنه يتحدث عن الحادثة الأولى بأسلوب الماضي، ويشير إلى الثانية كأنها من تاريخ مقبل. وبذلك يكون تاريخ الكتابة قبل سقوط نينوى بوقت قريب جداً على يد القوات البابلية والمادية عام ٦١٢ ق.م.

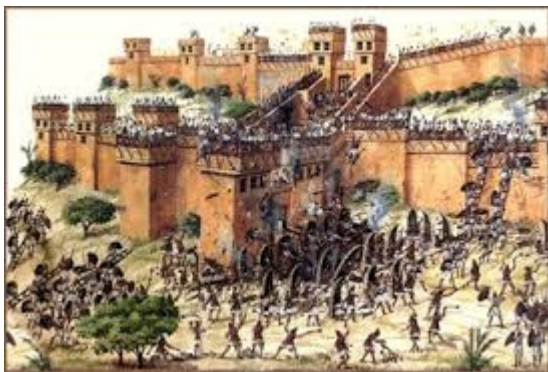
النبي



نحن لا نعرف شيئاً عن ناحوم إلا لقبه "الأقوشى" (١ : ١). ولا نعرف أيضاً موقع "القوش" هذه. إذ يقول التقليد أنها كانت قريبة من نينوى، ويقول جيروم والقديس ايرونيموس أنها كانت في شمال الجليل. بينما يذكر أحد آباء الكنيسة في القرن الرابع الميلادي أن موقعها في يهوذا - المملكة الجنوبية - إلى جهة الجنوب الغربي من أورشليم على بعد نحو ٢٥ ميلاً منها.

وقد تفوّه ناحوم بخراب نينوى عاصمة مملكة آشور التي تقع على ضفة نهر دجلة قبالة الموصل الحالية، وهي من أعظم مدن العالم القديم. وملوك آشور هم فول وتغلث فلاسر وشلمناسر وسرجون وسنحاريب وأسر حدون ثم سنشارشكن الذى اسمه سراقس باليونانية. وفى أيامه قام عليه الماديون فحاصروا مدينة نينوى ثلاث سنين ولم يقدرُوا عليها بسبب علو أسوارها ومتانتها. ثم حدث أن فاضت مياه نهر دجلة وجرفت جانباً من الأسوار وسقطت المدينة. وقيل أن الملك سراقس عندما أيقن هلاكه جمع نساءه فى قصره وأشعل فيه النار فاحترقن جميعهن وكان ذلك نحو عام ٦٠٧ ق.م، وبذلك أنتقلت السلطة إلى بابل.

وفى القرن التاسع عشر اكتشف بعض العلماء آثار نينوى فوجدوا تماثيل وصوراً كثيرة وكتابات تاريخية. بعض هذه التماثيل على هيئة حيوانات مركبة من جسم ثور وجناحى



نسر ورأس إنسان وهى تشير إلى القوة والسرعة والذكاء. ولكن تاريخ آشور اشتهر بالقسوة والدماء والوحشية والتجديف على الله وعلى التابعين له. فقد كانت قوية فى حروبها وبلا رحمة أو حق. فى أيام حزقيا ملك يهوذا أرسل سنحاريب جيشه وحلوا فى أرض يهوذا كلها وفتحوا ٤٦ مدينة ولم تخلص مدينة أورشليم إلا بعد يد الرب التي امتدت إليها "فخرج ملك الرب وضرب من جيش آشور مئة وخمسة وثمانين ألفاً. فلما بكروا صباحاً إذا هم جميعاً جثث ميتة" (إشعيا ٣٧ : ٣٦).

وحارب آشور مصر وأخذوا عاصمتها (تو) وهى (ثيبة) أي (طيبة) وهي في مكان الأقصر الآن. والكتابات الآشورية تذكر الغنيمة العظيمة التي أخذها من الفضة والذهب والجواهر والثياب الثمينة والخيل والعبيد. ثم حارب بلاد عيلام وقطع رأس ملكها وذبح عظماءها وأهلها، فغطى الأرض بجثثهم وسالت دماؤهم كنهر، وهدم مدنهم وأخذ كل كنوزهم، وقال مفتخراً أن البلاد كلها خربت حتى لم يبق فيها لا أناس ولا بهائم. ويصور النبي أشعياء قوة آشور وغرورها فيقول: "لأنه قال بقدرة يدي صنعت وبحممتي. لأنى فهميم. ونقلت تخوم شعوب ونهبت ذخائرهم وخططت الملوك كبطل. فأصاب يدي ثروة الشعوب كعش وكما يجمع بيض مهجور جمعت أنا كل الأرض ولم يكن مرفرف جناح ولا فاتح فم ولا مصفصف" (إشعياء ١٠ : ١٣ و١٤).

هكذا كان آشور بين الشعوب كوحش مفترس، فلا عجب أن خافت منه جميع الممالك وأبغضته بغضاً تاماً. لقد كان الجنود يسلخون الأسرى وهم لا يزالون أحياء، ويقطعون رؤوس البعض ويعلقونها بعنق الأحياء، ويضعون الأمراء الأسرى في

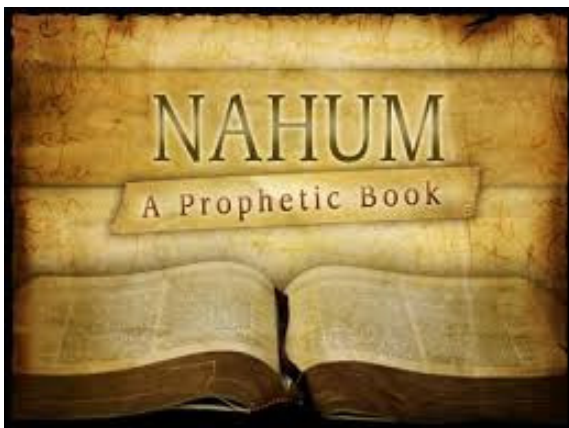


أقفاص ليشاهدتهم الناس. ويظهر ذلك كله في نبوة ناحوم بألفاظ شديدة ومؤثرة. وأمام كل هذا تفوّه ناحوم برسالة الخراب والدينونة لنيوى مدينة الدماء.

ولكن هذه القدرة العسكرية سوف تضعف تدريجياً، فلقد بدأ بنو فلاسر (٦٢٥ - ٦٠٥ ق.م) تحقيق حلمه في استقلال بابل عن الآشوريين، وتحالف مع أهل مادي في الشمال، فاحتلوا "طربيص" الواقعة على نهر دجلة شمالي نينوى عام ٦١٤ ق.م، ثم احتلوا "أشور" جنوبي نينوى، قبل أن ينقضوا على نينوى عام ٦١٢ ق.م.

كان لهذا الحدث صدى عميق في كل الشرق، لقد سقط الطاغي الذي سحق الشعوب والأمم، ولم تفكر الممالك الصغيرة، في نشوة الفرح، أن الذي سوف يأتي بعد الآشوريين لن يكون أرحم منهم. أما بلاد يهوذا التي كانت قد استعادت حريتها في أيام يوشيا (٦٤٠ - ٦٠٩ ق.م)، فستقع من جديد تحت نير المصريين بعد هزيمة مجدو عام ٦٠٩ ق.م، انتظاراً لمجيء البابليين عام ٦٠٥ ق.م (إرميا ٤٦: ١ - ١١، ٢٥: ١ - ١٤).

في هذا الوقت الذي يمتزج فيه التردد و الحيرة بالطموحات الوطنية



المُخَيِّبة، والبحث عن الكرامة المداسة، سيتدخل ناحوم النبي على ثلاث مراحل. الأولى يعلن فيها أن الرب هو الإله الحي الذي يعيد النظام والسلام، وأنه ملجأ المتوكلين عليه في زمن الضيق.

والثانية يتحدث فيها إلى المسؤولين السياسيين والعسكريين في أورشليم يذكرهم أن الرب سوف يدمر نينوى بسبب شرها. والثالثة يتحدث فيها عن خراب ودينونة نينوى فعلاً*.

* الخورى بولس الفعالي. أقوال الله في شعبه - الأنبياء الاثنا عشر ص ٢٠٩.

التعاليم المستفادة



١. نتعلم من السفر أن دينونة الله للشريير أكيدة ومرعبة. إن الله إله غيور، نار آكلة. كما أن الله صالح للذين يتكلمون عليه. (١ : ٢، ٤ - ٦ و ٧).
٢. جاءت الدينونة المرعبة لنيوى لأنها مدينة الدماء والقتل (٣ : ١) من أجل زناها وسحرها (٣ : ٤) ومن أجل جرائمها مع الأمم من حولها (٢ : ١١). ولذلك أخذت عقوبتها من جنس جريرتها (٣ : ١٠). ولقد رأى النبي أن سقوط نينوى هو صوت الله للدينونة.
٣. من أبرز دروس السفر بطل الاتكال على عظمة الجيوش والحصون والتجارة والمال. إن القوة الحقيقية هي الاتكال على الرب وحفظ وصاياه "طوبى للأمة التى الرب إلهها الشعب الذى أختاره ميراثاً لنفسه" (مزمور ٣٣ : ١٢).
٤. لم يعط ناحوم تعبيراً كافياً لإيمانه فى الانقاذ والطف، بقدر ما أعطى الجانب الشديد للدينونة فى وصف سقوط نينوى. وهو بهذا يختلف عن نبي آخر كان كالمعزى لشعبه فى إعلانه للخلاص من السيطرة البابلية (إشعيا ٤٠ - ٥٥) مثل ناحوم الذى معنى اسمه المعزى من القوة الآشورية. نعم ما أعظم هذا الاختلاف، وما أروع هذه الوحدة فى الإيمان الواحد الذى يتضمن كلا من صلاح الله من ناحية وقوة الله وشدته من الناحية الأخرى.

لكننا في نفس الوقت وسط الحديث المليء بالخوف والإنتقام والويلات والدينونة، نجد في كلمات ناحوم ثنائية صلاح الرب، التي تشرق كنجم الصباح المنير في ليل حالك الظلام. كوردة جميلة ناضرة وسط شجرة مليئة بالأشواك. كجزيرة وسط بحر هائج مضطرب.

هذه الثنائية ترينا الله ليس فقط إله الدينونة بل أيضاً إله الرحمة والنعمة فيقول في (٧ : ١) "صالح هو الرب حصن في يوم الضيق وهو يعرف المتوكلين عليه". وهنا نرى التوازن اللاهوتي الواضح عند ناحوم. فالضيق إلى "يوم" مهما طال، وفي الضيق يكون الرب "حصناً" يحمي شعبه، لأن "الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت. أقول للرب ملجأى وحصني إلهي فأأكل عليه" (مز ٩١ : ٢ و١).

وهو "يعرف المتوكلين عليه" أي "يعلم" يعلم من هم ويعلم ظروفهم، "ويعرف المتوكلين عليه" بمعنى "يحسن" إليهم فيخلصهم. وفي ذلك يقول ناحوم في (١ : ١٥) "هوذا على الجبال قدما مبشر مناد بالسلام عيدي يا يهوذا أعيادك أوفي نذكرك فإنه لا يعود يعبر فيك أيضاً المهلك. قد انقرض كله".